الباب الثالث عشر

أسئلة وأجوبة

س ١ : كَيْفَ يَنَالُ الشَّيْخُ مِنَ المُرِيدينَ المَحَبَّةَ بَعْدَ النَّقْدِ والعِتَابِ؟

جـ : الطَّبيبُ يَشْرُطُ الجِلْدَ بالمِشْرَطِ، ولَكِنْ بعْدَ حُصُولِ الشِّفَاء يَدْعُو له الناسُ.

س ٢ : يُعْتَبَرُ اليوم ابنٌ غير مُؤَهّلٍ للشَّيْخِ الكَامِلِ شَيْخاً كَامِلاً، هَلْ هذا صحيحٌ؟

جـ : كَمَا لا يَرْضَى شَخْصٌ بجَعْلِ ابن الدّكْتُور دُكْتوراً ما لَمْ يَتَعَلَّم الطّبّ بنظَام، كذلكَ لا يَكُونُ ابنُ الشَّيْخِ شَيْخاً ما لَمْ يَجِدِ النِّسْبَةَ بنظَام. نَعَمْ لَوْ وجدَ النِّسْبةَ، فولدُ الشَّيْخِ يكون نُوراً على نُورٍ، يُسْتَحْسَنُ تَجْدِيدُ البَيْعَةِ على يديْهِ.

س ٣ : بَعْضُ الناسِ يقولونَ: إنْ كَانَ الشَّيْخُ غير كَامِلٍ فلا حَرَجَ عِنْدما كان اليقينُ مُحْكماً. هل هذا صحيحٌ؟

جـ : كَمَا أنّ مَسْجُوناً لا يُخَلِّصُ مَسْجُوناً آخرَ، وشَخْصاً نَائِماً لا يَسْتَطِيعُ أن يُوقِظَ نَائِماً آخرَ، أو شَخْصٌ أعْمَى لا يَهْدِي أعْمَى آخَرَ، كَذَلِكَ شَخْصٌ غَافِلٌ لا يستطيعُ أنْ يَجْعَلَ الغَافِلَ ذَاكِراً، فَكَيْفَ يَصِيرُ المُريدُ كَامِلاً عِنْدَما لَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ كَاملاً.

س ٤ : إذا كانَ القُرآنُ والحَدِيثُ مَوْجُودَيْن عِنْدَنَا فلأيّ شيءٍ نَحْتَاجُ إلى الشيخِ؟ ألا يَسْتَطِيعُ الإنسانُ أنْ يُصْلِحَ نَفْسَهُ؟

جـ : الصَّحَابةُ رضي اللَّه عنهم أجْمَعِينَ شَاهَدُوا نُزُولَ القُرآنِ الكَرِيم وشَاهَدُوا صَاحِبَ القُرآن ﷺ، وسَمِعُوا كَلَامَهُ ﷺ بآذانِهِمْ، ولَكِنْ ما اسْتَطَاعُوا أن يُزَكّوا أنْفُسَهُم، بَلْ زَكَّاهُمُ النَّبيُّ ﷺ، ويعلمُ مِنْ قولِ اللَّه عز وجل: ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أنَّه لا بُدَّ مِنْ مُزَكٍّ، فَكَيْفَ نُصْلِحُ اليوم نُفُوسَنا في هذا العَصْرِ الذَّاهِبِ؟ كَمَا أنَّ الشَّجَرَ لا يشعرُ بِثُقْلِ ثَمَرِه، كَذَلِكَ الإنْسَانُ لا يَرَى عُيُوبَه ذَمِيمةً. فَلَا بدَّ للإصْلَاحِ أنْ يَرْجِعَ الإنسانُ إلى شَيْخٍ يُعَالِجُه مِنَ الأمْرَاضِ الباطنيَّةِ ـ مِثَالُ التَّزكِيَةِ بدونِ شَيْخٍ كَمِثَالِ شَخْصٍ يقول: أنا مَرِيضٌ وكُتُبُ الطِّبِّ مَوْجُودَةٌ أقْرأها وأدَاوِي نَفْسِي، هل يُقَال له: إنَّه عَاقِلٌ؟

س ٥: بَعْضُ السَّالِكينَ يُضَيِّقُونَ على أنْفُسِهِمْ دائِرَةَ المُبَاحَاتِ ويَحْرِمُونَ أنْفُسَهُمْ مِنْ بَعْضِ المُبَاحَاتِ ماذا تَقُولُ فيه؟

جـ : لَيْسَتِ الحِكْمَةُ في تَكْثِيرِ المُبَاحَاتِ أنْ يَسْتَخْدِمَ كُلّ شَخْصٍ كُلّ مُبَاحٍ، بَلْ لأنَّه لا يَدْرِي مَنْ يَحْتَاجُ إلى أيّ مُبَاحٍ وفي أيّ وَقْتٍ؟ فَبَعْضُ الأشْيَاءِ مُبَاحٌ للضَّرُورَةِ، ولِذَا يَجْتَنِبُ بَعْضُ المَشَايِخِ مِنَ التَّنْبولِ وشُرْبِ الشَّاي فَضْلاً عن التّدخِينِ.

س ٦: قَدْ يُعْرَضُ للسَّالِكينَ كَيْفِيَّاتٌ عَجِيبَةٌ، وَقَدْ لَا يَكُونُ مِنْها شَيءٌ، ما سَبَبُ ذلكَ؟

جـ : مَثَلُ السَّالِكِ مَثَلُ شَجَرةٍ تَخْرُجُ بَرَاعِيمُها وتَظْهَرُ أوْرَاقٌ جديدةٌ، ثمّ يَنْتَهِي خروجُ الأوراقِ الجَدِيدَةِ، ولا يعني أنَّ هذه الشجرةَ قد انْتَهى نُمُوّها، بلِ الشَّجَرةُ في ذلك الوقْتِ تقوّي ساقَها وفروعَها، هكذا أحوالُ السَّالكِ.

س ٧: كَيْفَ يعرفُ السَّالك، ماذا مَشْرَبه؟

جـ : يظهرُ على السَّالكِ ظهوراً بيّناً عَكْسَ صِفَاتِ نبيٍّ هو تحت قَدَمِ

ذلكَ النَّبيّ عليه السّلام، فمَنْ كان مُوسَويّ المَشْرَب يكون كَثير الشَّغَفِ بكَلَام اللّه تعالى، وأمَّا إبراهيميُّ المَشْرَب فَمِيزَتُه التَّوكّلُ على اللّه وإكْرَامُ الضّيْفِ، ويَغْلِبُ الزهدُ في حياةِ عِيسَويّ المَشْرب ويكونُ لديْه قُوَّةٌ سلبيةٌ شديدة ويكونُ لِمُحَمَّديّ المَشْرب حبّ شَدِيدٌ لاتّباعِ السُّنةِ والأخْلاقِ المُحَمَّديَّةِ.

س ٨: لو يَبْقَى فَيْضُ الأولياء بَعْدَ المَوْتِ، فما الحَاجَةُ إلى مُبَايعةِ شَيْخٍ آخَرَ؟

جـ : يَبْقَى الفَيْضُ بَعْدَ المَوْتِ، ولَكِنْ لا بِمِقْدَارٍ يجعلُ الناقصَ كَامِلاً.

س ٩: لو غَضِبَ الشَّيْخُ على مُريدٍ ويَبْقَى حُسْنُ اعْتِقَادِ المُريدِ في حقّ شَيْخِهِ هل تَبقَى البَيْعَةُ أمْ لا؟

جـ : لو غَضِبَ الشَّيْخُ ولا يَزَالُ اعْتِقَادُ المُريدِ حَسَناً تَبْقَى بَيْعَته، فَقَدْ غَضِبَ رسولُ اللّهِ ﷺ على كَعْبِ بنِ مَالِكٍ ولَكِنْ بَقي اعْتِقَادُه سَالِماً فأفْلَحَ.

س ١٠: لَوْ فَسَدَ اعْتِقَادُ المُريدِ في حقِّ شَيْخِهِ والشَّيْخ لا يُقِيل البَيْعَةَ أتبْقَى بَيْعَتُه أم لا؟

جـ : تَنْتَهِي البَيْعَةُ، فَعَنْ جَابرٍ رضي اللّه عَنْهُ أنه قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلى النَّبيّ ﷺ فَبَايَعَهُ على الإسْلَام، فَجَاءَ مِنَ الغَدِ مَحْمُوماً ـ وفي رواية: فأصَابَ الأَعْرَابِيّ وَعَكٌ بالمدينةِ ـ فقالَ: أقِلْنِي بَيْعَتِي، فأبَى، ثم جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فأبَى، فَخَرَجَ الأَعْرَابِيُّ، فقالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: «إنَّمَا المَدِينَةُ كَالْكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَها، وَيَنْصَعُ طِيبُها».

[أخرجه البخاري ومسلم والموطأ والترمذي والنسائي، ولم يذكر النسائي وعكة؛ جامع الأصول ج ٩ ص ٣١٩]

س ١١: كَيْفَ يَنْبغِي أنْ تكُونَ علاقةُ المُريدِ بالشَّيْخِ؟

جـ: يَنْبغِي أنْ تَكُونَ كَمَا كَانَتْ لسَيِّدِنا الصِّدِّيقِ بالنَّبيِّ ﷺ، ففي الحَدِيثِ الشَّريفِ أنّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ مرَّةً: «حُبِّبَ إليَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ». . . فقالَ أبو بَكْرٍ الصِّدّيقُ رضي اللّه عنه: (صَدَقْتَ يا رَسُولَ اللّه، وحُبِّبَ إليَّ مِنَ الدّنيا ثَلَاثٌ: النَّظَرُ إلى وَجْهِ رَسُولِ اللّه ﷺ، وإنْفَاقُ مَالي على رَسُولِ اللّه ﷺ. وأنْ تَكُونَ ابنتي تَحْتَ رَسُولِ اللّه ﷺ).

[المنبهات لابن حجر ص ٢٧، ٢٨]

فَتَدَبَّروا. كَانَتْ ذات رَسُولِ اللّه ﷺ هي المَرْكَزُ في هذه الثَّلَاثِ. فينْبغِي أنْ يَكُونَ للسَّالكِ مَعَ شيْخِهِ عَلَاقةُ الحُبِّ مثلها.

س ١٢: هَلْ تَحْصُلُ الفَائِدَةُ في السُّلوكِ بالذِّكْرِ أو بشيءٍ آخَرَ أيضاً؟

جـ: تَحْصُلُ الفائدةُ في البِدَايةِ بالذِّكْرِ، ثمّ يأتي زَمَنٌ لا يَبْقَى فيه الذِّكْرُ مفيداً، ولو كانَ ذِكْرَ نَفْيٍ وإثْبَاتٍ، بلْ يفيدُ الفِكْرَ، وفي هذه المرحلةِ تنفعُ تِلَاوةُ القُرآن وكثرةُ النَّوافِلِ والتبليغ والتَّدريسِ والتّصنيفِ، ثم تأتي مَرْحَلَةُ القُرْب بالفَرَائِضِ، سَواء أكانَتْ معينةً مِنْ عِند اللّه تعالى أم مِنَ العِبَادِ، كأن يأمُرَ الشيخُ بالخِدْمَةِ في الزاويةِ، فهذه الخِدْمَةُ أكْثَرُ فائدةً مِنَ الذِّكْرِ والفِكْرِ ويُسَمَّى بالقُرْبِ بالفَرائِضِ.

س ١٣: ما المُرَادُ بخواصّ الدُّروسِ؟

جـ: يَتَعَلّقُ بكلّ دَرْسٍ إزالةُ رَذِيلةٍ، يُلَاحِظُ الشَّيْخُ هل زَالَتِ الرَّذائلُ أمْ لا؟ عِنْدَما زَالَتْ رَذَائِلُ لَطِيفةٌ يَعْطِي الشَّيْخُ دَرْساً جديداً.

س ١٤: ما المُرَادُ بالقُرْبِ بالنَّوافِلِ؟

جـ: يَتَقَدَّمُ السَّالكُ بعد حُصُولِ الفَنَاءِ الكَامِلِ بالقُرْبِ بالنَّوافِلِ، فيعبدُ اللّه بأيِّ عِبَادةٍ يريدُ، ثمّ يُشْغِلُه اللّه تعالى في أيّ أمْرٍ دينيٍّ يشاءُ،

وهذا يُسَمّى بالقُرْبِ بالفَرَائِضِ، فالبَعْضُ يُفَوّضُ إليه أمْرَ التَّبليغ، وإلى البَعْضِ أمْرَ التَّدريسِ أو التَّصْنِيفِ والتَّأليفِ، ويُعَاتِبُ صَاحِبَ القُرْب بالفَرَائِضِ لو اشْتَغَلَ بالنَّوافِلِ، كَمَا عُوتِبَ دَاوُدُ عليه السَّلامُ ببعثِ رَجُلَيْن إليه في الخَلْوةِ.

س ١٥: هَلْ يُمْكِنُ ذِكْرُ النَّفْي والإثْبَاتِ بِحَبْسِ النَّفسِ مرةً واحدةً أكْثَر مِن واحِدٍ وعِشْرينَ أمْ لا؟

جـ: على السَّالكِ أنْ يَبْلُغَ عَدَدَ هذا الذِّكْرِ بعد مُرَاعَاةِ شَرَائِطِه إلى واحِدٍ وعِشْرين، ثمّ لو زَادَ على هذا لاسْتَفَادَ. ففي المَكْتُوبَاتِ المَعْصُوميَّةِ أنّ شَخْصاً كَتَبَ إليه أنّه يَذْكُر بالنَّفْي والإثْباتِ في نَفسٍ واحدٍ مائة مرّة فشَجّعه الشيخُ محمد معصوم رحمه اللّه تعالى.

س ١٦: هل يَحْصُلُ بقراءةِ القُرآنِ الفَوائدُ والثَّمراتُ التي تَحْصُلُ بأذْكَارِ الصّوفيَّةِ؟

جـ: مُعْظَمُ فائدةِ السَّالكِ في البِدَايةِ يَحْصُلُ بالذِّكْرِ حتى يَجِدَ فَنَاء القَلْبِ وفَنَاء النَّفْسِ، ثم يكونَ ارتفاعٌ بالتِّلاوةِ والنَّوافِلِ وبأشْغَالٍ دينيةٍ أخْرَى.

س ١٧: الَّذينَ يَكْثُر دُرُوسُهُم ولم يَتَوفّرْ لهم الوقتُ ماذا يَفْعَلُونَ؟

جـ: لَوْ يُجَاوزُ هؤلاء لَطَائِفهمْ مُتَوَجّهِينَ قَاصِدينَ لا يَخْلُو عَنِ الفَائِدَةِ.

س ١٨: مَا مَعْنَى سَلْبِ النِّسبةِ؟

جـ: النِّسبةُ اسْمُ عَلاقَةٍ بين اللّه وبين العَبْدِ لا يَسْتَطِيعُ أحَدٌ أن يسلبه. نَعَمْ يُمْكِنُ سَلْبَ الكَيْفِيَّاتِ والوَارِدَاتِ.

س ١٩: بَعْضُ النَّاسِ يَتَهَلّلونَ بألْسِنَتِهِمْ كلّ وَقْتٍ يَقُولُونَ: لا إلٰه إلّا اللّهُ، هَلْ هذا جَائِزٌ؟

جـ: جَائِزٌ مائةً في المَائةِ، بَلْ هو مُسْتَحْسَنٌ. سُئِلَ الشَّيْخُ عَزِيزَان علي

الراميتني رحمه الله تعالى عَنْ هذا السّؤالِ، فأجَابَ: إنَّ الشَّرْعَ أمَرَ بتَلْقِينِ المُحْتَضِرِ بكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ وأنا أحْسُبُ نفسي مُحْتَضِراً كلّ وَقْتٍ فألقّنُ نَفْسي بكَلِمَةِ التَّوحيدِ.

س ٢٠: الَّذين يَضَعُونَ المصْحَفَ الشَّريفَ في جُيُوبِهِم ويَضْطَّرونَ للدّخولِ إلى المِرْحَاضِ، فَمَا حُكْمُهُم؟

جـ: يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ حُكْمُ الجَيْبِ حُكْمَ الغِلَافِ والأحْسَنُ مَعَ ذلك أنْ يَطْوي المصْحَفَ في غِلَافِ البلاستيك ثمّ يُوضَعُ في الجَيْبِ.

س ٢١: المُؤْمِنُ لا يزالُ مُنْتَظِراً للصَّلاةِ، لماذا؟

جـ: إذا أصْبَحَتِ الصَّلاةُ غذاءً للرُّوحِ فيحنّ القَلْب للصَّلاةِ كما تَحِنّ المَعِدَةُ للطَّعامِ.

س ٢٢: المَجذُوبُون مَنْ هُمْ؟

جـ: بَعْضُ عِبَادِ اللّه تعالى يعينونَ للأمُورِ الرُّوحَانِيَّةِ، وبَعْضُهم مُخْتَصّون للأمُورِ التَّكوينيَّةِ والمَاديَّةِ. وهؤلاء كالمَجَانين ظاهِراً ولا يَجِب أن يَكُونَ لِرِجَالِ التشريعِ مَعْرفةٌ برجَالِ التَّكوينِ، فمُوسَى عليه السَّلام لَمْ يَكُن له عِلْمٌ بالخِضْر، وقد تَجْتَمِعُ وظيفَتَا التَّكوينِ والتَّشْريعِ في شَخْصٍ واحِد. ومِنْ رِجَالِ التكوينِ قُطْبُ المَدَارِ، ومِنْ رِجَالِ التّشريعِ قُطْبُ الإرشَادِ. ويكونُ قُطْبُ المَدَارِ تحت قُطْب الإرْشَادِ غالباً.

رَوَى البُخَاريُّ أنَّ موسى عليه السَّلامُ قَابَل الخِضْرَ وقال: (أتيتُكَ لتعلّمني ممَّا عُلّمْتَ رُشْداً). قال: (إنَّك لَنْ تَسْتَطِيعَ معيَ صَبْراً، يا مُوسَى إني علَى عِلْم مِنْ عِلْمِ اللّه عَلّمَنِيه لا تَعْلَمُه أنتَ، وأنتَ على عِلْمٍ علّمكَ اللّه لا أعْلَمُه).

[صحيح البخاري مع حاشية السندي ج ٣ ص ١٥٣]

وهؤلاء الرِّجالُ رِجَالُ الأمُورِ التكوينيَّةِ يُقَالُ لَهُمُ المَجَاذِيبُ.

س ٢٣: ما المُرادُ بالوارِدَاتِ الكَونيَّةِ والوارِدَات العِلْميَّةِ؟

جـ: قَدْ تُلْقَى في قَلْبِ السَّالكِ نكاتٌ عِلْمِيَّةٌ، وقَدْ تُلْقى نِكَاتٌ تَتَعَلَّقُ بالأمُورِ الماديَّةِ، مثْلُ أنه سَيَكُونُ كذا وسَوْفَ لا يكُون كذا، ويُقَالُ لها الوَارِدَاتُ الكونيَّةُ، ويُقَالُ لِلْمَعَارِفِ العلميَّةِ الواردَاتُ العِلْمِيَّة، وكِلَاهُما مَحْمُودٌ ولَكِنَّ المَعَارِفَ العلميةَ أفْضَلُ مِنَ الكونيَّةِ، فالعِلْمِيَّةُ لا تتأتَّى لِكُلِّ واحِد.

ع: يُلْقُونَ الرَّحيقَ في كأسِ الطَّلَبِ.

س ٢٤: ما هو المشرب؟

جـ: كُلّ سَالِكٍ لا بُدّ أنْ يكونَ تَحْتَ قَدَمِ نَبيٍّ، ولَكِنْ ليس كُلّ سَالِكٍ يعرفُ أنه تَحْتَ قَدَمِ أي نبيٍّ؟

حكاية: أرْسَلَ شيخٌ مُريدَه إلى حَضْرةِ شَيْخٍ آخر لِيَعْرِفَ مَشْرَبَه، فلمَّا وصلَ إليه المُريدُ، قال ذلك الشيخ: كيْف حَالُ يهوديّكم؟ فَغَضِبَ المُريدُ. فلمَّا رَجِعَ وسأله شَيْخُه عمَّا جَرَى، أجابَ المُريدُ مُتَلَعْثِماً. فَقَالَ الشَّيْخُ: الحَمْدُ للَّهِ، أنا مُوسَويّ المَشْرب.

س ٢٥: مَنْ يُقَالُ له القَيُّومُ؟

جـ: العَالمُ مظهرٌ تجليّات صفات اللَّه تعالى، فينبغي أنْ يكونَ هناك مظهرٌ لِتَجَلّياتِ الذاتِ سبحانه وتعالى، ويُقَالُ له القَيُّومُ، فَقِيَامُ العَالم ليس بالوَسَائِلِ المَاديَّةِ بَلْ بذِكْرِ اللَّه، ولذلك قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعةُ على أحَدٍ يقولُ: اللَّه اللَّه» وفي روايةٍ: «حتى لَا يُقَالَ في الأرْضِ: اللَّه اللَّه».

[أخرجه مسلم وأخرج الترمذي الثانية؛ جامع الأصول ج ١٠ ص ٣٩٤]

المَشَايخُ يُكْثِرونَ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالى ويُبْقُونَ هذا العَمْلَ فيجعل شَخْصٌ منهم قَيُّوماً.

س ٢٦: ما المُرادُ بِيَدِ الغَيْبِ؟

جـ: يَجِدُ بَعْضُ المَشَايخِ رِزْقَهُم تَحْتَ السَّجادةِ أو مِنْ طريقٍ آخر خَفِيٍّ يُقَالُ له يَدُ الغَيْبِ، ومِنْ يَدِ الغيبِ أنْ يقدّمَ أحدٌ هديةً وهو لا يَرْجُو.

س ٢٧: مَا هُوَ أصْلُ خَتَماتِ المَشَايخِ؟

جـ: قِرَاءَةُ آيةٍ أو عَمَلُ عِبَادةٍ لها مُنَاسَبَة كَامِلةٌ بحياةِ الشَّيْخِ وسِيرَتِهِ لإيصَالِ ثَوابِها إلى ذلك الشَّيخِ يُقَالُ لها الخَتْم، وبعضُ المَشَايخِ هم يُعيّنُونَ خَتْمَهم ويُعين للبَعْضِ بَعْدَ وفَاتِهِ مُريدُوه.

س ٢٨: ما الفَرْقُ بين الرُّؤيا والواقِعَة والمُشَاهَدَة؟

جـ: كُلّ ما يُرَى في النَّوم يُقَالُ له الرُّؤيا وإنْ شَاهَدَ بَعْدَما نَامَ جَالِساً لِلْمُرَاقَبةِ يُسَمّى واقِعَة، وإنْ رَأَى شيئاً في المُرَاقَبةِ مُسْتَيقِظاً يُسَمّى مُشاهدةً.

س ٢٩: ما المُرَادُ مِنَ القَبْضِ والبَسْطِ؟

جـ: يَشْعُرُ السَّالكُ بَعْضَ الأحْيانِ بانْشِراحٍ عَجيبٍ وكَيْفيَّاتٍ غَريبةٍ، ويُسَمَّى هذا بالبَسْطِ، وقَدْ تَخْتَفِي هذه الكَيْفيَّاتُ كَأنْ لمْ يَكُنْ شيءٌ، ويُقَالُ له القَبْضُ. وكِلَاهُما نِعْمَة مِنَ اللّه تعالى، ولَكِنْ نَحْنُ نَسْأَلُ اللّه البَسْطَ فقط لِضَعْفِنَا. كمَا أنّ الزارعَ يسقي الشَّجَرَ ثم يتركُه مدةً ليجذبَ الماءَ ويجِفّ، يضرُّ السّقْيُ كلّ يَوْم والشَّجر يُصْبِحُ خَضِراً نَاضِراً بالسَّقْي مَرّةً بعد مرّةٍ. هذه حَقيقَةُ القَبْضِ والبَسْطِ لا بدّ مِنْهُما لتربيةِ السَّالكِ.

س ٣٠: ما مَعْنَى الفَنَاءِ في الرسُولِ؟

جـ: الكَيْفيَّةُ التي يَحْصُلُ فيها اتّباعُ السُّنةِ طَبْعاً تُسَمَّى الفَنَاءَ في الرسُول.

س ٣١: ما هُوَ «ياد داشت»؟

جـ : الولدُ الصَّغيرُ يَحْفَظُ حُروفَ الهِجَاءِ ويردّدُها سَريعاً، والكَبيرُ لا يردّدُها سريعاً مثله، ولَكِنْ يَكْتُبُ عند الضّرورةِ العِبَارَةَ الصَّحيحةَ، أو نَقُولُ: نريدُ الذهابَ إلى المَسْجدِ ونَنْظُر في الطّريق إلى هنا وهناك ونُسَلّمُ على الأصْدِقَاء، ولَكِنْ لا نَنْسَى الذّهابَ إلى المَسْجِدِ يُقَالُ له: «ياد داشت» ومَعْنَاهُ التَّذَكّر. كذلك السَّالكُ يَشْتَغِلُ بأعْمَالِ الدّنيا، ولَكِنْ لا يَذْهلُ عَنْ ذِكْرِ اللّه تعالى.

س ٣٢: ما هُوَ الفَرْقُ الأَسَاسيُّ بينَ السّلسلةِ النقشبندية والسّلسلةِ الجشتية؟

جـ : في كُلِّ سِلْسِلَةٍ أولياء كَامِلُونَ والفَرْقُ في طَريقِ الوُصُولِ فَقَطْ.

اسْتَشَارَ شَخْصٌ الشيخَ الحَاجَّ أمداد اللّه المهاجر المكيّ، هَلْ يُبَايِعُ في السّلسلة النقشبندية أو في السّلسلة الجشتية؟ فقَالَ، مثاله: أرْضٌ فيها شُجَيْراتٌ فَلِزَرْعِها طَرِيقَانِ: الأولُ أنْ تُنَقّى سنة أو نصف سنة ثم تُزْرَعَ، والثاني أن ما ينظّفُ منها يُزْرَعُ، وهكذا تَتِمّ التنقيةُ والزّرْعُ معاً. فقال الرجُلُ: الطّريقُ الثاني أحَبُّ إليَّ. المَوْتُ لا يُدْرَى وَقْتُه، فقَالَ الشّيْخُ: فعليْكَ بالبَيْعَةِ في السّلسلة النقشبندية.

س ٣٣: ما هُوَ السَّبَبُ لِكَثْرةِ انْتِشَارِ السَّلاسِلِ الصُّوفيَّةِ في البِلادِ الحَنَفِيَّةِ كالبَاكِسْتان والهِند وبنغلاديش وولايات وسط آسيا وتركيا وسوريا والأردن؟

جـ : خُلَاصَةُ الدّينِ في فِقْهِ الأئمةِ الأرْبَعَةِ، وتَتَلخّصُ هذه الأرْبَعَة في فِقْهَيْن: الحنفيّ والشافعيّ، وقالَ المُجَدّدُ رَحِمَه اللّه: إنّه يَغْلِبَ في الفِقْهِ الحنفيِّ كَمَالَاتُ النّبوةِ، ويَغْلِبُ في الفِقْهِ الشّافِعيّ كَمَالَاتُ الولايةِ. فاتّباع السُّنة النبويّة في البِلَادِ الحنفية كَثِيرٌ.

س ٣٤: يَكْثُرُ في الصّلاةِ الوَسَاوس والخَطَرات؟

جـ: كلّ وَسْوَسَةٍ خَطرَةٌ، وليس كُلّ خَطْرةٍ وَسْوسَةٌ، بَلِ الوَسْوسَةُ خَطْرَةٌ تَحُول بين المرءِ وبين غايتِهِ، تأتي في صَلَاتِنا خَطَراتٌ دنيويةٌ والدنيا أسْفَلُ ويأتي للأكَابرِ خَطَراتٌ دينيةٌ عاليةٌ، فكان عُمَرُ رَضِي اللّه عنه يُجَهّزُ جُيُوشَه في الصَّلاةِ، فمثلُ هذه الخَطَراتِ مَحْمُودةٌ لا تَمْنَعُ حُضُورَ القَلْبِ.

س ٣٥: يَكُونُ لِبَعْضِ المَشَايخِ اسْتِغْراقٌ في الصَّلاةِ لا عِلْمَ لهُمْ بما حَوْلَهُم ماذا يَكُونُ؟ لماذا تَكُونُ صَلَوَاتُنا بهذه المَثَابةِ؟

جـ: حُصُولُ مِثْلِ هذا الاسْتِغْراقِ في الصَّلاةِ ليس بواجِبٍ، والمُرَادُ بحُضُورِ القَلْبِ التوجّه إلى اللّه. اخْتَصَرَ رَسُولُ اللّه ﷺ صَلَاتَه وسَلّم لأجْلِ بُكَاءِ صبيٍّ.

س ٣٦: قيل: يُعَاتَبُ المُنْتَهِي بالوَسْوسَةِ؟

جـ: يُعَاتَبُ على وَسْوَسَةٍ تغفلُ المُنْتَهِي، وأمّا الوَسْوَسَةُ التي تأتي وتَذْهَبُ فلا مُؤاخَذَة عليها.

س ٣٧: ما الفَرْقُ بيْنَ الظّنّ والإلْهَامِ؟

جـ: الإنْسَانُ عِنْدَما ثَبَتَ على رَأيٍ بنيّةٍ وإرادةٍ يُسَمّى ظنًّا وعِنْدَما وَرَدَ في قَلْبِهِ خَطْرة بنفسِها يُسَمّى إلهاماً.

س ٣٨: ما مَعْنَى عالَمُ الأمْرِ وعَالَمُ الخَلْقِ؟

جـ: أوجَدَ اللّه تعالى العَالَم إيجادين: بعضُ العَالَم أوجَدَه بِكَلِمَةِ «كُنْ» وهو عَالَمُ الأمْرِ. وما أوجَدَه تدريجاً هو عَالَمُ الخَلْقِ.

س ٣٩: هَلْ يَجُوزُ السّماعُ (سَمَاعُ الغِنَاء)؟

جـ: لا يَجُوزُ مَعَ المَزَامِيرِ والمُوسِيقَى. جَميعُ أنواعِ الغِناءِ حتى الحَمْد ومَدْح الرّسولِ ﷺ. ويَجُوز الغناءُ بدون المزامير بعد تحقق عدّة شروطٍ، منها:

١ ـ أنْ لَا يكونَ مُشْتملاً على مَوْضُوعَاتٍ فاسقة.

٢ ـ أنْ لَا يَكُونَ في المَجْلِسِ اخْتِلَاطٌ بين الرِّجَالِ والنِّساءِ غير المَحَارِمِ.

٣ ـ أنْ يَكُونَ للسَّامعينَ رَغْبَةٌ إليه كَرَغْبَةِ الجَائعِ إلى الطَّعَامِ.

س ٤٠: ما هي عَلَامةُ السُّنة والبِدْعَةِ؟

جـ: السُّنةُ عَمَلٌ عَالَمِيٌّ والبِدْعةُ عَمَلٌ مَحَلّيٌّ أي السُّنةُ عَمَلٌ يُوجَدُ سويًا في كلّ مَكَانٍ وفي كُلّ بَلَدٍ بكيفيةٍ واحدةٍ مِثْل صَوْمِ عَاشُورَاء، فإنه سُنَّةٌ يوجَدُ في كلّ مكانٍ، وفي كل بلدٍ، بينما احْتِفَالُ عاشِرِ مُحَرّم بِدْعَةٌ. ولذا فإنَّ لانْعِقَادِه في إيرَانَ طَريقةٌ، وفي البَاكِسْتَان طَرِيقة أخْرى، وفي العِرَاقِ طَريقة أُخْرَى، وفي الهِنْدِ أخْرَى.

س ٤١: لا يَسْتَحْسِنُ التصوفَ طائفةٌ كبيرةٌ مِنَ الأُمَّةِ لِمَاذا؟

جـ: بعضُ النَّاسِ يَتَنَفّرونَ مِنْه ويَكْرهُونه بسَمَاعِ قِصَصِ الشّيوخِ المُشَعْوذِينَ. ولا يفكّرونَ أنّه قد اخْتَلَطَ في هذا العَصْرِ الرّديء مِنْ كل شَيء بالجَيّدِ، والتّنقيحُ وظيفتنا. يَدْخُل في صُفُوفِ العُلَمَاء بَعْضُ أسْرار النّفوسِ عبّاد الدّنيا ولا يَعني ذلك أنْ لا يتعلمَ العِلْمَ الدينيّ. حالة هؤلاء النّاقدينَ مثل حالة «هند» التي يُقَالَ لهَا آكِلَةُ الأكْبَادِ. كانَتْ شديدةَ العَدَاوةِ قَبْل الإسْلام وقَالَتْ بعد أن أسْلَمَتْ: يا رَسُولَ اللّه لا أحِبّ أحداً الآن فَوْقَ ما أحبّك.

وهكذا يكُونُ حالُ النّاقدينَ على التصوفِ إنِ انْكَشَفَ لهم حَالُه.

س ٤٢: كيْفَ يَحْصُلُ التقدّم في التّصوّفِ؟

جـ: بأربعةِ أمورٍ: ١ ـ بكثرةِ الذّكْرِ، ٢ ـ باتّباعِ السُّنةِ، ٣ ـ بالتّقْوَى، ٤ ـ بِرَابطَةِ الشّيْخِ.

س ٤٣: خَرَجَ مِنْ لِسَانِ بعضِ المَشَايخ مِثل كَلِمَات (أنا الحَق) و(سبحاني ما أعظم شأني) لماذا؟

جـ : صَدَرتْ هذه الكَلِمَاتُ في حَالَةِ السُّكْرِ، ويكونُ الإنْسَانُ فيه مَعْذُوراً مَرْفُوعاً عنه القَلَمُ أنْ يَخْرُجَ مِنَ الشَّجَرِ بحضْرة مُوسى عليه السَّلام صَوتٌ: (إنني أنا اللّه) فمَا العَجَبُ لو صَدَر مِنْ لِسَانِ إنْسَانٍ (أنا الحق) نَعَم لو خَرَجَ مثل هذه الكَلِمَاتِ مِنْ ذي صَحْوٍ يَسْتَحِقّ العِقَابَ وضَرْبَ النّعالِ.

س ٤٤: ما هو سَبَبُ مُعْظَمِ الذّنوبِ؟

جـ : سَبَبُ مُعْظَمِ الذّنوبِ حبّ الجَاهِ وزيادَةُ الشَّهْوَةِ.

س ٤٥: قال الإمَامُ الربّانيُّ مجدّدُ الألف الثاني: سَتَتَّحِدُ حقيقةُ الكَعْبَةِ والحَقِيقَةُ المحمديّة في آخِرِ الزّمانِ. ما معناه؟

جـ : الكَعْبَةُ المُشَرّفة مَرْكَزُ التجلّياتِ الذاتيّةِ، ولهذا أصْبَحَتْ مَسْجُوداً إليها، وسَيَكُونُ أخيراً قَلْبُ النبيّ الكريم ﷺ مَرْكزاً للتجلّياتِ الذاتيةِ على الدّوام. سَجَدَ ليوسفَ عليه السَّلام نبيٌّ واحِدٌ، وهو يَعْقُوبُ عليه السَّلام، وسَجَدَ لآدَمَ عليه السَّلام مِنَ المَلَائِكَةِ، فالكَعْبَةُ وقَلْبُ المُؤْمِنِ كِلَاهُما مَرْكَزُ التجلّياتِ الذاتيةِ، والفَرْقُ أنّ الكَعْبَةَ مَرْكَزُ التّجلّياتِ على الدّوامِ، وقَلْبُ المُؤْمِنِ قد يكونُ لها مركزاً وقد لا يَكُونُ.

س ٤٦: رُوي عَنْ بَعْضِ المَشايخِ أن سيّدَنا عليًا رضي اللّه عنه كانَ يَضَعُ القَدَمَ في الرّكَابِ فيقرأ: «بسم اللّه الرحمن الرحيم» وكان يَضَعُ القَدَمَ في الرّكابِ الثّاني فيقرأ: «والنّاس» كيف يُمْكِنُ ذلك؟ ورُوي أنّ بَعْضَ المَشَايخِ خَرَجَ مِنْ بَلَدِه إلى مَكَانٍ آخَرَ وَتَزَوَّجَ هناك وَوَلَدَ له أوْلَادٌ، ثمّ رَجِعَ ولم يَمْضِ إلّا سَاعَات، هَلْ هذا مُمْكِنٌ؟

جـ : الزمَنُ له طُولٌ وله عَرْضٌ وإن كَانَ المَعْرُوفُ أنّ للزمانِ طُولاً فَقَطْ، ويُمْكِنُ أنْ يَفْعَلَ اللّه تعالى للخَواصّ مثل هذه الأفْعَالِ في عَرْضِ الزّمانِ كَقِصّة المِعْرَاجِ.

س ٤٧: ما هو مبدأ التعيين؟

جـ: يكونُ لِكُلّ سَالكٍ مبدأ تعيينٍ مِنْ أسماء اللّه تعالى وصِفَاتِه ويكُونُ للسَّالكِ وصولٌ إلى مبدأ تعيينه. ولو فَازَ شَخْصٌ السَّير فوقه فهو نظريّ وليس بقدمي. (لا يكون له مقامٌ) كمَا يكونُ لِشَخْصٍ بَيْتٌ في لَاهُور هذا مقام أصليّ. فأينما دار أو سار فالمقام الأصلي في لاهور.

س ٤٨: ما هُو التعيّنُ الأولُ؟

جـ: قال بَعْضُ المشايخ: عِلْمُ اللّه تعالى بِخَلْقِ العَالَم هو التَّعينُ الأول، وقال البَعْضُ: إرادةُ الخَلْقِ هو التّعينُ الأول. وقَالَ الإمامُ الربَّانيّ مجدّد الألف الثاني: لمَّا كان حُبّ أن أعْرِفَ هو التعين الأول، فهذا الحبّ هو مبدأ التعين للنبيّ ﷺ وفوقه مقام اللّاتعيّن.

س ٤٩: الصّوفيةُ يكْتَفُونَ بتدويرِ السُّبَحَاتِ جُلُوساً على السَّجَّادَةِ ولا يُسْهِمُونَ في الجِهَادِ لماذا؟

جـ: جاءتْ كَلِمَةُ الجِهَادِ في القُرآن الكريم لعدّةِ مَعَانٍ:

١ ـ الجِهَادُ بالمَالِ، أي بَذْلُ المَالِ في سَبيلِ اللّه تعالى، والدَّليلُ عليه قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ﴾ [التوبة: ٤١].

٢ ـ الجِهَادُ بالنَّفْسِ أي تَطْبِيقُ أحْكَامِ الشَّريعةِ على الأنْفُسِ قال تعالى: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١١] قال عليه الصّلاةُ والسّلامُ في هذه المُنَاسبةِ: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَه في طَاعَةِ اللّهِ».

٣ ـ الجِهَادُ بالقُرآنِ، أي عُرِضَ الإسْلامُ على الكفّار لإعْلاءِ كَلِمَةِ اللّه تعالى ودَلِيلُه قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

٤ ـ الجِهَادُ بالسَّيْفِ. أي قِتَالُ الكُفَّار حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

الصّوفيةُ يَشْتَغِلونَ غَالباً في الأقْسَامِ الثَّلاثَةِ الأُوَلِ للجِهَادِ ولا تُخْفَى أمْثِلَتُهم على أحَدٍ.

وأما الجِهَادُ بالسَّيْفِ؛ فعندما يَكُونُ فرضَ عَيْنٍ لإعلاء كَلِمَةِ اللّه تعالى، فالصُّوفيةُ يَخْرجُونَ في المَعْرَكَةِ واضِعينَ أكْفَانَهُم على أكْتَافِهِم، ويكونُونَ بنياناً مَرْصُوصاً ضدّ الكفّار. وفيما يلي بعضُ الأمثلة:

١ - في القَرْنِ السّابعِ الهجريّ لما قَضَى التَّتَار على الخِلَافةِ العبَّاسيَّةِ والدّولةِ الإسلاميَّةِ الوحيدةِ لجَلَالِ الدين خَوارِزم الشّاه، وضُرِب المَثَلُ المَعْرُوفُ: إذا قِيلَ لك أنّ التَّتَارَ انْهَزَمُوا فلا تُصَدّقْ. وفي مِثْلِ هذه الأوْضَاعِ السيئةِ حوّل الشَّيخُ محمّد الدربندي وأمثاله رَحِمَهُمُ اللّه تعالى قُلُوبَ أبناءِ مُلُوكِ التَّتَارِ، فأسْلَمَ أبناءُ هؤلاء المُلُوكِ بَعْدَ ثلاثين سَنَةً وجَعَل لِواء الإسْلَامِ يَنْخَفِقُ مِنْ جَديدٍ. قال الدكتور محمد إقبال ما معناه:

قد تبيَّن مِنْ قِصَّةِ تَتَارٍ إلى اليوم
أنْ قَد وجَدَ الحُرَّاس للكَعْبةِ من بَيْتِ الأصْنَامِ

٢ - لمَّا ثَارَتْ عَاصِفَةُ الدّين الإلْهيّ في الهِنْدِ في عَهْدِ المَلِكِ أكْبَر، رَفَعَ الشَّيخُ مجدّد الألف الثاني لواءَ إحياءِ الدّينِ، وألْقَى التَّوجّهاتِ على قُلوبِ رؤساء الجُنُودِ الكِبَارِ أمْثَال شَيْخ فَريد وخان خانان. جاء زَمَنٌ انقلعتِ البَدعاتُ السيئةِ وانتهتْ، وكأن الأرْضَ أُحْييتْ بعد مَوْتِها، وكان المَلِكُ العادِلُ المتديّن أورنكزيب من ثَمَراتِ جُهُودِه.

٣ - هَاجَمَ الرّوسُ داغستانَ فتقدّم مشايخ الطَّريقةِ أمثال الغَازي محمّد الشّهيد والشيخ حَمْزة والشيخ شَامِل، وقَاتَلوا الشيوعيين ٤٦ سنة بداية من ١٨١٣م إلى ١٨٥٩م.

٤ - أقامَ الشيخُ أحمَد الشّريف السنوسي مريديهِ في حَرْب طَرَابُلس ضدّ

الإيطاليين وحَارَبَهم خَمْسَ عَشْرة سنةً محاربة شديدة، والزاوية السنوسية بالصّحراء العظمى من أفريقيا مشهورة إلى الآن.

٥ ـ قَاتَل الأميرُ عبد القادر في الجَزائر ضِدّ الفرنسيين في القَرْنِ التّاسعَ عَشَر الميلادي خَمْسَ عَشْرَةَ سنة من ١٨٣٢م إلى ١٨٤٧م وكَانَ مِنْ شيوخ الطريقةِ.

٦ ـ قد احتلّت مَقَاماً عظيماً في التاريخ أسْمَاءُ الحَافظِ ضامِنِ الشّهيد رحمه اللّه تعالى في مَعْركةِ شاملي، والسيّد أحْمَد الشهيد، والشّاه إسماعيل الشهيدان ببالاكوت رَحِمهم اللّه تعالى لِحُصُولِ التحريرِ من الإنكليز. وهؤلاء مِنْ مَشايخِ الصّوفية.

٧ ـ كانَ السيّد جَمَال الدين الأفْغَانيّ مِنْ أفغانستان، وشَيْخ الهِنْد مولانا محمود حسن من الهند المَعْروف بأسير مالتا، والشّيخ حسن البناء من سلسلة الشاذلية، كلّ هؤلاء مشايخُ الطّريقة قد جَاهَدُوا بالسّيْف. وتاريخ الإسْلَام ناقِصٌ بدون ذكر هذه الضّحايا العظيمة.

٨ ـ قَدْ أَثَارَ شَيْخُ السّلْسِلَةِ النّقْشبنديةِ حَضْرةُ مرزاجانِ جانان الشّهيد رَحِمَه اللّه تعالى شَوْقَ الجِهَادِ في مُريديه حتى قَالَتِ امرأةٌ تُخَاطِبُ ابنيهِ:

قَـالَـتْ أمّ مـحـمّـد عـلـي لـه ضَحّ بنفْسِك يا بني للخِلَافةِ

أَنبئوني مِنْ آثَارِ شَوْقِ الجِهَادِ في الشّيخ محمّد علي جَوْهَر، وفي الشّيْخ شَوْكَتْ علي، وكُتِبَ على قَبْرِ شَيْخ قُتِلَ بِيَدِ ظَالِم أبياتٌ معناها: وجَدُوا في لَوْحِ قَبْري مَكْتُوباً في الغَيْب: أن ليْسَ لهذا المَقْتُولِ ذَنْبٌ سِوَى لا ذَنْبَ.

هَاجَر الشّيخُ محمّد علي جَوْهر لتحريرِ المُسْلِمينَ من بيتهِ إلى لندن حتى يُبَلِّغَ صوتَ المُسْلِمين إلى برلمان الإنكليز، وتَحَمَّلَ مَشَاقّ الحَبْس، ولمّا هُدِّدَ بالإعْدَامِ وَقَفَ أمَامَ العَدُوّ وجَاهَدَ أفْضَلَ الجِهَادِ وفقاً لحديثِ:

«أفْضَلُ الجِهَادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةَ حَقّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ».

وخَاطبَ الكُفْرَ وقالَ: لا تَحْسَبُوا إلَّا أن لي فَنَاء، ولَكِنّ الحقيقةَ أنّ لي أسْبَابَ البَقَاءِ مِنَ الغَيْبِ، الرّسالةُ التي وَصَلَتْ إلى الحُسَيْنِ بن عليٍّ رضي اللَّه عنه: أنَا مَسْرُورٌ أنّ لي تِلْكَ الرّسَالة رِسَالة القَضَاءِ مَوْتٌ في سَبيلِ اللَّه، يا طَبيبٌ هو الدّواء الإكسير لي لا سِوَاهُ.

التَّوحيدُ: هو أنْ يَقُول اللَّهُ في المَحْشَرِ: هذا العَبْدُ غَضْبَانُ على الكَوْنَيْنِ لابتغَاءِ مَرْضَاتِي.

وصلَّى اللَّهُ على خَيْرِ خَلْقِهِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وأصْحَابِهِ أجْمَعِينَ.